النصح والإشفاق في الكلام على تفجيرات الأسواق

سؤال وجواب حول تفجيرات أسـواق بيشـاور؟

بقلم فضيلة الشيخ

[عطية الله]

حفظه الله



مركز الفجر للإعلام

١٤٣١هـ~٢٠١٠م

السؤال :

إلى أهل العلم والدين حفظهم الله ورعاهم وسدد على طريق الحق خطاهم؛ هل يجوز الفرح والسرور بمثل هذه التفجيرات التي وقعت في سوق بيشاور (أواخر شهر أكتوبر من هذا العام ٢٠٠٩م) وإظهار الشماتة بالمتضررين بها من المتسوّقين والتجّار وعموم الناس ، على أساسِ أنهم مفرّطون في أمرِ الدين مهتمّون بشأن دنياهم وعَيشهم فقط وتاركون للجهاد وخاذلون للمجاهدين ومقيمون تحت سلطان الحكومة المرتدة لا يبالون بشيء من ذلك؟ بيّنوا لنا وجهَ الحق في هذه المسألة وفقكم الله وأثابكم وجزاكم عنا وعن المسلمين خيرَ الجزاء.

الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه

وبعد : فإنه لا يجوز الفرحُ والسرورُ بمثلِ هذه التفجيرات (كالمذكورة التي وقعت في سوق بيشاور)، ولا يجوز إظهارُ الشماتة بالناس المتضررين بها والواقعةِ فيهم وفي بلدهم وسوقهم، بل يجبُ الإنكارُ عليها واعتقادُ أنها فسادٌ وباطلٌ وظلمٌ وعدوانٌ وخروج عن الشريعة الإسلامية المطهرة، وأنه لا يفعلُها مَنْ يؤمن بالله واليوم الآخر، فضلا عن مجاهدٍ في سبيل الله، بل إن كان ثمتَ شيء مشروعٌ نحوها من المشاعر والأحاسيس فهو أن يحزَنَ المسلمُ من ذلك ويهتمَّ (يصيبَهُ الهمُّ) ويأسَفَ لها، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

شرحُ هذا الجواب وبالله التوفيق :

أما عدمُ جوازِ الفرحِ والسرورِ بها فلأنها فسادٌ وباطلٌ وظلمٌ وعدوانٌ وخروجٌ عن شريعة الإسلام كما قلنا، ومعلومٌ بطريق القطع أنه لا يجوز للمسلم أن يفرَحَ ويُسَرَّ بشيء هذا وصفُهُ الشرعيّ.

فإن المسلم يحب ما يحبُّهُ الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ويفرَحُ ويسرُّ بذلك، وهو الخيرُ والصلاحُ والبرُّ والعدلُ والإحسانُ والهُدى والحقُّ والمعروفُ، ويكرَهُ أضدادَ ذلك من الشرِّ والفسادِ والظلمِ والعدوانِ والضلال والباطل والمنكر، ولا يكون الإنسانُ مؤمناً إلا بذلك، هذا شرطُ الإيمان الشرعيّ، وإلا كان منافقاً كافراً في الباطن، والعياذ بالله.

والقرآن والسنة مملوءان بالدلالات على ذلك نصّاً ومعنىً، ودينُ الإسلام قائم على ذلك، فإن الإسلام هو الاستسلامُ لله عز وجل باطناً وظاهراً، وهو العبودية التامة للبارئ سبحانه وتعالى، التي مبناها على كمال الحب له عز وجل مع كمال الذلّ والخضوع، الموجِبِ للانقياد لأمره سبحانه، ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم.

فمَن فرِحَ بشيء وأحبَّهُ ورضيَهُ، وهو يعلَمُ أن الله لا يحبُّه ولا يرضاه، بل يمقُتُهُ ويُبغِضُهُ ويكرهُهُ ويَسْخَطُهُ، فقد عصى الله، وناقَضَ "مبدأ الاستسلامِ" له تعالى، وخرج نوعَ خروجٍ عن عبوديته، وهذا الخروج فيه تفصيلٌ؛ فقد يكون معصيةً (غيرَ كفرٍ) وقد يكون كفراً ونفاقاً، ويحتاجُ هذا إلى بسطٍ لا يسعه هذا الجواب، لكن نشيرُ إلى شيءٍ منه.

وهكذا مَن كرِه وسَخِطَ ما يحبُّهُ اللهُ ويرضاه ويأمُرُ به.

لكن قد يجتَمِع في الإنسانِ أنه يكرَهُ الشيءَ لأنّهُ يعلم أن الله يكرهه، فهو موافقٌ لربّه في ذلك مستسلمٌ له من هذا الوجه، ثم هو (الإنسانُ نفسه) يفعلُ ذلك الشيءَ ويلتذُّ به، وهذا درجاتٌ متفاوتة بحسب قوةِ ثبوتِ كون الشيء مكروهاً لله عز وجل، فإن كان قطعياً فهو درجةٌ، وإن كان غير قطعيّ فبحسبِ غلبة الظن في ثبوته.

وهو في كل ذلك بحسبِ حكمِ الله فيه، إن كان اللهُ عز وجل حكمَ في شريعته بأن هذا الفعلَ (سواءٌ كان فعلاً قلبياً أو من أفعال الجوارح) كفرٌ، أو حكم بأنه معصيةٌ غيرُ كفرٍ، ويُعرَف ذلك من الأدلة الشرعية التفصيلية.

ومثالُ الأولِ المسلمُ الذي يشرب الخمر أو يزني، وهو يعلَمُ أن شُربَ الخمرِ والزنى حرامٌ يُبغضه الله تعالى ويسخطه وينهى عنه ولا يرضاه، وهو يفعل هذا الفعلَ القبيحَ وهو يعرف قُبحَهُ ونَكارته، ولكنه يريدُهُ ويلتذُّ به ويحبه محبة غريزية "حيوانية" غيرَ شرعية، وغلبته شهوتُهُ فيه، فانفكت المحبة في حقه، فنجا من الكفر، لكنه على خطرٍ عظيم (مرتكبٌ لكبيرة)، وهذا هو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ، ولا يشربُ الخمرَ حينَ يشربها وهو مؤمنٌ" فنفى عنه حينَ الفعلِ وصفَ الإيمان، لكنه ليس بكافرٍ بهذا الفعلِ بإجماع أهل السنة خلافاً للخوارج المارقين، بل هو فاسِقٌ بذلك ما لم يتبْ، وهذا من سَعةِ رحمة الله تعالى ولطفه أن لم يحكُمِ اللهُ عز وجل بأن مرتكب هذه الأفعال كافرٌ خارج عن

دينه (الإسلام)، ولو شاءَ عز وجل لفعل، فاللهم لك الحمد والثناء الحسن على سعة رحمتك وعظيم فضلك.

ومثال الثاني مرتكبُ الصغيرة من الصغائرِ مما هو من باب الشهوات، كمن يشربُ الدخانَ (السيجارة) أو يستمع إلى الألحان المطربة المحرمة (الموسيقى) ويلتذُّ بها، وهو عارفٌ بحرمتها، أو هو مترددٌ في الاقتناع بحرمتها لوجود شبهةٍ في ذلك عنده مثلا.

وقس على هذا.

ومثالُ ما حكَمَ الله بأنه كفرٌ : أن يحبَّ الإنسانُ أعداءَ الله من الكفارِ كاليهود والنصارى والهندوسِ والبوذيين وما شابههم ممن كفرُهُم معلومٌ، أو شأنُهُ أن يكون معلوماً من مثله، يحب دينهم وما هم عليه، ويرضى به، أو يكرَهَ ويُبغِضُ شريعةَ الله على وجه الإجمالِ، أو شيئاً منها معلوماً كونُهُ من شريعة الله وحكمِه، فإن هذا الإنسانَ يكفُرُ بذلك.

قال الله تعالى : {وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} [محمد/ ٨، ٩]

وقال : {إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} [محمد/ ٢٥-٢٨]

وقد يقع لبعضِ الناسِ تأويلٌ في المحابِّ والمباغِضِ (ما يُحَبُّ وما يُبغَضُ) ، كمن يظن أن فلاناً المسلم المعيَّن يستحق القتل فيفرَحُ ويُسرُّ بموته لاعتقاده أنه فاسقٌ فاجرٌ مستحق للقتل، وقد يكون كذلك في نفس الأمر (في الحقيقة) وقد لا يكون، فهذا في الشخص المعيَّن، لكن هذا غيرُ متصوَّرٍ في عموم المسلمين وجملتهم من مستوري الحال وجماعاتهم بما فيهم ذراريهم (أطفالهم) ونساؤهم وشيوخهم وفضلاؤهم وجميعُ مستوياتهم، فلا يمكنُ أن يفرَح ويُسرَّ مؤمنٌ بقتلهم وهلاكهم وتدميرهم جملةً.!

وقد أخبر الله عن حال المنافقين بأنهم : {إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا} [آل عمران/ ١٢٠]

وقال : {إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ}[التوبة/ ٥٠]

فهذه صفةُ المنافقين : يفرحون بما يصيبُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم والمسلمين من الآلام والشدائد، ويستاءون ويغتمّون لما ينالُ المسلمين من الخير.

فصلٌ : في أن المشاعر والأحاسيس والوجدانات كثيرٌ منها داخلٌ تحت التكليف، فهي أفعالٌ قلبية من أفعال المكلفين التي يتعلق بها خطاب الله تعالى بالطلب، إلا ما كانَ منها جِبِلِّيّاً طبيعيّاً، لا يقدِرُ الإنسانُ على التحكم فيه، ولا طاقة له به ، كالميل الطبيعيّ في محبة الأهل والولدِ ونحوِه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث القَسْم بين الأزواج "اللهم هذا قَسْمي فيما أملك فلا تلمني فيما لا أملِك"، وقد قال الله تعالى : {لا يكلفُ الله نفساً إلا وسعَها} وقال : {ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به} .

فالفرح والسرور وما قاربها، وأضدادها من الهم والحزن والأسف، والوجد، وغير ذلك – إلا ما ستثني من القِسْم الطبيعيّ– أفعالٌ قلبية ينبغي أن تخضع لحكم الله تعالى، وهي في جملتها راجعةٌ إلى قاعدة جامعة هي : الحب والبغض.

فعلى المسلم أن تكون مشاعره وأحاسيسه خاضعة للشرع منضبطة به، يحب ما يحب الله ويفرح ويسر به ويأنس ويرتاح إليه، ويكره ما يكرهه الله ويحزن منه ويأسف ويهتم. وهكذا.

لكن في كل ذلك تفاصيل دلت عليها الأدلة الشرعية تُنظَر في مواضعها من كتب أهل العلم، وإنما أشير هنا إلى شيءٍ منها :

فأما الفرح والسرور:

فقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بأن يفرحوا بفضله ورحمته، قال الله تعالى : {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس/ ٥٨]، فكل ما هو من فضلِ الله ورحمته وإحسانه ولطفه وهدايته وتوفيقه، من النعم والمنن والأفضال الربانية الدينية والأخروية، فهو مما ينبغي أن يفرح به العبدُ، ومعنى

الفرح هنا سرورُ القلبِ بها المقتضي لشكرِ الله عليها بأركانِ الشكر؛ القلبيّ واللساني وبالجوارح.

قال العلماءُ : أغلبُ ما ورد لفظُ الفرح في لسان الشرع وفي لغة الكتاب العزيز في سياق الذم، كقوله تعالى : {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ}[الأنعام/ ٤٤] وقوله : {إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ}[التوبة/ ٥٠] وقوله : {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَّ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ}[القصص/ ٧٦] وقوله : {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهَّ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهَّ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ}[التوبة/ ٨١] وقوله : {وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}[هود/ ٩-١١] وقوله : {اللهُّ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ} [الرعد/ ٢٦] وقوله : {لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آَتَاكُمْ وَاللهُّ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}[الحديد/ ٢٣].

وهو في عامة هذه الآيات الكريمات ونحوها الفرحُ المطغي المؤدي إلى العُجْب والغرور والكِبر، أو الفرح بما لا ينبغي أن يَفرَحَ به المؤمنُ.

ومن الفرح المحمود الفرحُ بنصر الله عبادَه المؤمنين على الكافرين، أو نصرِهِ الأقلَّ شراً والأقربَ إلى المسلمين من الكفار على غيرهم ممن هو أشدُّ بُعداً وأكثرُ شرّاً، كقوله : {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهَّ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} [الروم/ ٤، ٥]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : "من سرّته حسنته، وساءته سيئتُهُ فهو المؤمن" رواه الترمذي وغيره.

وأما الحزن والأسى ومثله الأسفُ، فإنه أكثر ما وردَ في القرآن مسلطاً عليه النهيُ أو النفي وشبهه، وليس في الكتاب والسنة أمرٌ به في حالٍ من الأحوال، وإنما غايتُهُ أن يكون مباحاً مأذوناً فيه لطفاً من الله وتخفيفاً وتيسيراً، ومما يكون من النوعِ الطبيعيّ الجبليّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ونهى الله عزوجل رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن الحزن في مواضع عديدة من القرآن فقال تعالى:

{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ} [النحل/ ١٢٧]

{لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ}[الحجر/ ٨٨]

{وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران/ ١٣٩]

وأخبرَ عزّ وجل أن الشيطان يريد أن يُحْزِن الذين آمنوا : كقوله تعالى : {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءامَنُوا} [المجادلة:١٠]، وكذا في الرؤيا؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم في بعضِ أقسامها : "ورؤيا تحزينٌ من الشيطان" والحديث في صحيح مسلم.

وكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يكثِرُ من الاستعاذة من الهمّ والحزن، ويُرشِدُ إلى أسبابِ ذهاب الهمّ وجلائه، والأحاديث في ذلك معروفة مشهورة.

والذي يدل على جوازه وإباحته، كحالةٍ بشرية طبيعيةٍ سويّةٍ، أدلةٌ منها قولُ وفعلُ النبيّ صلى الله عليه وسلم في قصة وفاة ولده إبراهيم عليه السلام.

في الصحيحين والسنن، واللفظ للبخاري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سيف القين وكان ظئراً لإبراهيم عليه السلام فأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم فقبّله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيمُ يجودُ بنفسه، فجعلتْ عينا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم تذرِفانِ، فقال له عبدُ الرحمن بنُ عوف رضي الله عنه : وأنت يا رسولَ الله؟! فقال : يا ابن عوف إنها رحمةٌ، ثم أتبعها بأخرى، فقال صلى الله عليه وسلم : إن العينَ تدمَعُ والقلبَ يحزَنُ ولا نقول إلا ما يرضى ربنَّا وإنا بفراقك يا إبراهيمُ لمحزونون.

ومنها ما ذكره الله عز وجل من قصة يعقوبَ عليه السلام وحزنه على يوسفَ قال تعالى : {قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ } [يوسف/ ١٣] وقال سبحانه : {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [يوسف/ ٨٣-٨٦].

ومنها ما ذكرَهُ الله تعالى عن نبيّه صلى الله عليه وسلم وعن بعض أصحابه رضي الله عنهم أنهم حزنوا،

وسكتَ النصُّ القرآني عنه، كقوله تعالى : {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآَيَاتِ اللهِّ يَجْحَدُونَ} [الأنعام/ ٣٣] وقوله تعالى : {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا للهِّ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللهُّ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللهُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[التوبة/ ٩١-٩٣]

ويُحتَمَلُ إثباتُ قِسمٍ مستحبٍ من الحزن، كالحزن والأسف لفوات طاعةٍ، ويحتمل أن يؤخذ هذا من الآية السابقة، وكحزن النَّدم على المعصية وهو توبةٌ، وهذا موضع يدِقُّ التعبير عنه، ولا يبعُدُ استحبابُ إظهارِ قدرٍ من الحزنِ في مثل هذه الأحوال، وفيما يصيبُ المسلمين من مصائبَ وشدائد وكروبٍ، فإن هذا أقربُ إلى هَدْيِ النبيّ صلى الله عليه وسلم وسَمْتِهِ، وأشبه بكمال النفس واستقامتها، وأدنى للمواساةِ، والمواساةُ من مكارم الأخلاق، والله أعلم.

فائدة : للعلماء توجيهاتٌ لحزن سيدنا يعقوبَ عليه السلام ذكرها القرطبي فقال : "قال النحاس : فإن سأل قوم عن معنى شدّة حزن يعقوب صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا فللعلماء في هذا ثلاثة أجوبة : منها أن يعقوب صلى الله عليه وسلم لما علم أن يوسف صلى الله عليه وسلم حَيٌّ خاف على دِينه ، فاشتدّ حزنه لذلك [أي فحزنُهُ راجعٌ إلى الدين، فهو حزنٌ على الدين ولأجله، أي وذلك محمودٌ، لما يتضمّنه من تعطّفٍ على الدين وولاء له، ولأنه سببٌ دافع إلى خيرٍ وغيرَةٍ للدين!] . وقيل : إنما حزن لأنه سلّمه إليهم صغيراً، فندم على ذلك. والجواب الثالث وهو أبْيَنُها هو أن الحزن ليس بمحظور [أي كلّه جملةً، والتفصيلُ بالتفريق بين الطبيعيّ وغيره أولى]، وإنما المحظور الوَلْولة وشقّ الثياب، والكلام بما لا ينبغي. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : "تَدمع العين ويَحزن القلب ولا نقول ما يُسخط الربّ" وقد بيّن الله جلّ وعزّ ذلك بقوله : {فَهُوَ كَظِيمٌ} أي مكظوم مملوء من الحزن ممسك عليه لا يبثّه؛ ومنه كَظْم الغيظ وهو إخفاؤه؛ فالمكظوم المسدود عليه طريق حزنه"اهـ

فائدة أخرى : في توجيه النهي عن الحزن :

المتحصل من كلام العلماء في النهي عن الحزن أنه لوجهين :

الأول : أنه متوجّهٌ إلى ما زاد على القسم الطبيعيّ الجبليّ منه، وهو ما كان للإنسان طاقةٌ بضبطه والتحكم فيه، وذلك لأنه سببٌ لمفاسدَ كثيرةٍ من تركِ عملٍ صالحٍ كترك الدعاء أو الجهاد، أو فعلِ محرم، كالنياحة واللطم وشق الجيوب وما شابهه مما نهتْ عنه الشريعةُ من مظاهر الجزَعِ والتسخط المنافيه للصبرِ الواجبِ، فيُؤمَر المكلّفُ بأن يكفّ نفسه عن الحزنِ وأن يجاهِدَه، ويستعيذ بالله منه.

الثاني : أن النهي عن الحزنِ نهيٌ عن أسبابه الجالبة له، قال الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله في قوله تعالى {ولا تهنوا ولا تحزنوا} : "والوهنُ والحزن حالتان للنفس تنشآن عن اعتقاد الخيبة والرزء فيترتّب عليهما الاستسلامُ وتركُ المقاومة، فالنهي عن الوهن والحزن في الحقيقة نهي عن سببهما وهو الاعتقاد"اهـ

والأسى قريبٌ من الحزن أو بمعناه، نهى اللهُ رسولَهُ صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عنه، وعلَّل بنفيه (أي بنفي الأسى) بعضَ أفعاله وأحكامه عز وجل.

قال تعالى : {فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [المائدة/ ٦٨] وقال : {فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}[المائدة/ ٢٦] وقال : {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [الحديد/ ٢٢، ٢٣]

فصلٌ : وأما أن مثل هذه التفجيرات في أسواق المسلمين باطلٌ وفسادٌ وظلمٌ وعدوانٌ وخروجٌ عن شريعة الإسلام، فظاهرٌ جداً، ومعلومٌ عند جميع العلماءِ بل عند جميع المسلمين، فإنها تستهدِفُ المسلمين المعصومين، وتسفِك دماءَهم التي حرّمها الله، وقد وقعَ بها قتلُ العشراتِ منهم وجرحُ العشرات كذلك، وتدميرُ شيء كبيرٍ من أملاك المسلمين وأضرارٌ وأذىً غيرُ خافٍ.

ومعلومٌ من دين الإسلام بالضرورة تحريمُ دم المسلم، ومعروفٌ تشديد الشريعة المطهرة فيه، وتعظيمها لأمره، وأنه من أكبر الكبائر، بعد الإشراك بالله تعالى.

فإن الله عز وجل نهى عن قتل النفس إلا بالحق بصريح العبارات ومحكمها وبأنواع الدلالات ومتعدِّدها، وأبدأ في ذلك وأعاد، في كتابه العزيز، وقرن قتل النفس -بغير الحق- بالإشراك به تعالى في مواضع في النهي والذم، وبين أنه فعلُ العصاة الجبارين والفجرة المتمردين الممقوتين من رب العالمين، وأخبر أن النفس لا يجوز أن تقتل إلا بالحق وهو الموجب الشرعيّ والحكم الإلهي باستحقاقها للقتل، وأخبر أن من قتل نفساً

بغير حق فإنه بمنزلة من قتل الناس جميعاً في جرمه وفجوره وشناعة ما أتى أو في جرأته على الرب عز وجل وفي تمرده وإفساده : {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا} [المائدة : ٣٢] ، وأخبر أن المؤمن لا يتصوَّرُ منه أن يقتُلَ مؤمناً، لا يكون هذا أبداً، إلا على وجه الخطأ، بياناً لشدة منافاة هذه الشناعة للإيمان : {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً} [النساء/ ٩٢]، وأخبر أن من قتل مؤمناً متعمداً فإنه مستحق لأشد السخط والعذاب من الملك القهار : {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} [النساء/ ٩٣] نسأل الله السلامة والعافية، والصوابُ الذي لا شك فيه في معنى الخلود المذكور في الآية أنه ليس هو كخلود الكفار والمشركين في النار، وإنما هو دون ذلك قطعاً للأدلة القاطعة من الكتاب والسنة أن الموحدين لا يخلدون في النار، ولكنه تعبير عن شدة وطول عذابهم في جهنم والعياذ بالله، وفي هذا كفاية للمتّعظين، ومزدَجَرٌ للمتهوّرين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وفي السنة المطهرة في ذلك شيء يصعب حصره، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"اجتنبوا السبعَ الموبقات، قيل يا رسول الله وما هن؟ قال : الشركُ بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات".

وفيهما من حديث بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : "أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء" وذلك تعبيرٌ عن عظم شأنها عند الله.

وفي البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لن يزال المؤمنُ في فُسْحةٍ من دينه ما لم يُصب دمًا حرامًا"، وقال عبد الله بن عمر : "إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفكَ الدم الحرام بغير حله".فاللهم إنا نسألك العافية والمعافاة الدائمة يا رب العالمين.

وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لزوالُ الدنيا أهونُ على الله من قتْل مؤمنٍ بغير حق".

وفيها كذلك : "كلُّ ذنبٍ عسى الله أن يغفره، إلا الرجل يقتلُ المؤمنَ متعمدًا، أو الرجل يموت كافرًا".

ويكفي الإنسانَ المسلمَ أن يراجع كتاب الترغيب والترهيب للمنذري في بابِ "الترهيب من قتل النفس

التي حرم الله إلا بالحق" ليطلع على ما تُرعَبُ منه القلوب وتقشعرّ منه الجلود في ذلك.

وللمجاهدين خصوصاً في قصتي أسامةَ بن زيد والمقداد بن عمرو رضي الله عنها عبرَةٌ ودرسٌ لمن أرادَ الله واليوم الآخرَ وكان مجاهداً حقاً في سبيل الله، من الذين قال الله فيهم : {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص/ ٨٣] وقال : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ}[المائدة/ ٥٤]

وأنا أذكرُ القصتين هنا للتذكير، وليُراجِعْهما القارئُ في كتب الشروح ليعرِفَ ما فيهما من الفقه وما استنبط العلماءُ منهما من العلم.

➤ قصة أسامة بن زيد :

روى البخاري ومسلمٌ عن أسامة بن زيدٍ رضي الله عنه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحُرَقَةِ من جُهَينة فصبَّحنا القومَ فهزمناهم، ولحقتُ أنا ورجلٌ من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال لا إله إلا الله، فكف عنه الأنصاريُّ، وطعنته برمحي حتى قتلته، قال فلما قدمنا بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ قال قلت يا رسول الله إنما كان متعوذاً، قال فقال أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ قال فما زال يكررها علي حتى تمنيتُ أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.

➤ قصة المقداد بن عمرو :

روى البخاري ومسلم عن المقداد بن عمرو الكندي وكان شهد بدرًا مع النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا رسول الله أرأيتَ إن لقيتُ كافراً فاقتتلنا فضرب يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذَ مني بشجرةٍ وقال أسلمتُ لله آقتله بعد أن قالها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتله، قال يا رسول الله فإنه طرح إحدى يديّ ثم قال ذلك بعد ما قطعها، آقتله؟ قال لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال.انتهى الحديث.

وقال الله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ

كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}[النساء/ ٩٤]، وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما : {ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا}، قال ابن عباس كان رجل في غُنَيْمَةٍ له فلحقه المسلمون فقال السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غُنَيْمَتَه، فأنزل الله في ذلك إلى قوله : {تبتغون عرض الحياة الدنيا} : تلك الغنيمة.

وكذلك تحريم أموال المسلمين وأملاكهم وعصمتُها، هو شيءٌ معلومٌ عند المسلمين كافة، وقد جمع ذلك كله قولُ النبي صلى الله عليه وسلم : "كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ دَمُهُ وماله وعِرضه".رواه مسلمٌ وغيره.

وتحريم إذايتهم والإضرار بهم، كذلك.

بل وتحريم ترويعِهم وهو تخويفُهم وإدخالُ الرَّوْعِ عليهم وهو الفَزَعُ، بغيرِ حقٍّ، أي بغيرِ إذنٍ من الشريعة المطهرة.

كل ذلك معروفٌ مشهورٌ تحريمه وما ورد في منعه والنهي عنه والتحذير والترهيب منه في الشريعة، ولا نطيل بذكر الأدلة التفصيلية على ذلك لشهرتها وظهورها، والحمد لله.

فصلٌ: وليُعلَم أن الناسَ في هذه المسائل –كما هو الشأن في سائر المسائل غالباً– طرفانِ ووسطٌ:

فطرفٌ استخفّ بهذه الحرمة الكبيرة وبهذه النصوص المتضمنة لأعظم الوعيد والتهديد، فأراقوا دماء المسلمين، واستهانوا بها، ولم يعرفوا لها حرمةً ولا خافوا الله فيها ولم يرجوا لله وقاراً، وهؤلاء منهم الطواغيت أئمة الكفر الفراعنة لعنهم الله، ومنهم الزنادقة، ومنهم الفجّار الجبابرة، ومنهم الفسقة المنحلّون من أهل الدنيا وأهل اللصوصية وقطاع الطرق وأهل جاهلية العشائر والقبائل في بعض البلاد، ونحوهم، ويلحَق بهم مارقو الخوارج كما حدث في بعض البلاد.

وهؤلاء هالكون والعياذ بالله، إلا مَن تداركه الله برحمته.

وطرفٌ آخرُ صدّتْهُ هذه النصوصُ وحمَلَهُ تعظيم هذا الوعيد والتهديد على تركِ القتال والقتل حيث أذِنَ اللهُ فيه بل وأوجبه، فصدّته عن الجهادِ الواجب، جهادِ المرتدين وجيوشهم والطوائف الممتنعة عن شرائع الإسلام الظاهرة، بحجة الخوف من إراقة الدماء واحترام أملاك وأموال المسلمين وتحريم إذايتهم وترويعهم.!

وهؤلاء منهم قومٌ من مخنثي العزائم، ممن يرون القتلَ والموتَ في الحروبِ سُبّةً، لم يعرفوا النزال ولا الطعان، ولا مصاولة الفرسان، رقّتْ أجسادُهم ونعُمتْ جلودُهم من رغدِ العيش وترفِ المقامِ ولذيذ الراحة والهناءة في أوطانهم ومشاريعهم الرخوة المبنية على ثقافة معايشة الكفار و"الولاء الطبيعيّ" –زعموا- وتعظيم حب الأوطان واختيار الحياة الدنيا وحبِّ السلامةِ والسلام والأمن والأمان والاستقرار ولو على حساب ذهابِ الدين وانتقاضِ عُراه، فما أشبههم بمن قال الله فيهم : {أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ} [الزخرف/١٨] ، وهؤلاء الذين كتبَ بعضُ غلاةِ الزائغين منهم في أحد أشهر مواقعهم على شبكة المعلومات أن الأمن مقدَّمٌ على التوحيد وأهمُّ منه، مستدلاً –قاتله الله- بقول الله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم : {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آَمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} [إبراهيم/ ٣٥] فزعم الكاذِبُ على الله أن تقديم إبراهيم سؤالَ الله عز وجل أن يجعل هذا البلد آمناً على سؤاله أن يجنبه وبنيه عبادةَ الأصنام دالٌ على ذلك.!

فهؤلاء وأمثالهم منَ الذين قال فيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : "إذا رأيتم الذين يَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ منه فأولئك الذين سَمَّى الله فَاحْذَرُوهُمْ" رواه البخاري ومسلم عن عائشة في تفسير قول الله تعالى : {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} [آل عمران/ ٧]

ومنهم أقوامٌ أهل أهواء مختلفة غير ذلك.

فنعوذ بالله من سوء حالهم جميعاً.

وهدى الله أهلَ الجهاد في سبيل الله على علمٍ وبصيرةٍ وفقهٍ، لما اختلفَ فيه الناسُ من الحق بإذنه سبحانه، فحققوا الحق، وأعطوا كل مقامٍ حقه، فحققوا الولاء والبراء، وأقاموا الدين كله وأحاطوا به من كل جوانبه حسبَ استطاعتهم باذلين وسعهم مستعينين بمولاهم، وقاموا بواجبِ الوقتِ وهو التصدّي لفتنة الردة الكبرى الطاغية المعاصرة، كما جاهدوا أعداء الله الكفار الأصليين الغزاة الصائلين من الصليبيين واليهود والهندوس وغيرهم، واجتهدوا في حفظ دماء وأموال المسلمين وتعظيمها واحترامها والتحرز من إصابتها جُهدَهم، مع الاستمرار في الجهاد الواجب، فالله مولاهم، وعليه – سبحانه- أجرهم ونصرُهُم.

<u>فصلٌ</u> : فبهذا يُعْلَم أن مثل هذه التفجيرات ليستْ من عمل المجاهدين، وأنه لا يفعلها إلا مَن لا يؤمن بالله واليوم الآخر، ولا يفعلها بالأصالةِ إلا المجرمون أعداءُ الله تعالى، وهذا الذي نعتقده؛ أنها من فعلِ الأعداء

الكفار مباشرةً، إما بواسطة مؤسساتهم الأمنية الإجرامية مثل بلاك ووتر وما شابهها، وقد كثرت في باكستان في هذه المدة، وعرَفَ الناس أخبارها وتناقلوها، وانتشرت قصصها، نسأل الله أن يرد كيدهم في نحورهم، أو عبرَ عملائهم الاستخباريين الآخرين، أو بواسطة مجموعات قذرةٍ تابعة للاستخبارات الباكستانية الآي إس آي، أو تابعة لبعض جنرالات الجيش الخبثاء المجرمين.

وهذا شيءٌ غيرُ مستغرَبٍ في الحروب، ومتوقَّعٌ، وقد فعله الأعداءُ كثيراً في أفغانستان والعراق والجزائر وغيرها، ومَن يطلبُ عليه دليلاً يقينياً فيوشك ألا يجده، لأن الأعداء يتقنون فن إخفاءِ الأثر، وهي عمليات استخباراتية متخصصة، لكن علاماتُهُ وأماراتُهُ واضحةٌ للعارفين بشؤون الحرب ومَن يعيشونها.

ولذلك، فإن على المسلمين أن يتنبّهوا لهذا، وعلى المجاهدين أن يوضحوا هذا الأمر، ويحذروا الناس ويُوعّوهم، وعلينا أن نعرف أن هذا من الفتنة التي يبتلي الله عز وجل بها عبادَه ويمتحِنهم ويختبرهم، ليعلم اللهُ من ينصرُه ورسله بالغيب، ومَن الذي ينصر دينه، ويقفُ مع الحق وأهله، ولا ينصدُّ بسبب مثل هذه الفتن عن الجهاد الحق في سبيل الله وإعلاء كلمته وتحكيم شريعته، ولا عن الكون مع المجاهدين ونصرتهم بما يستطيعُ، ولا يكون في صفّ أعداء الله، والعياذُ بالله.

{إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ} [الأعراف/ ١٥٥]

فالمؤمن القويُّ الواعي الفاهم لدينه المجاهِدُ بحسب وسعه، يحقق الحق، ويعطي كل شيء حقه، يعرف المعروف ويحبه وينصره، ويبغض المنكر وينكره بحسب قدرته.

فهذا هو الواضح عندنا جداً أن هذه التفجيرات من تدبير وفعل أعداء الله الكفرة، يريدون بذلك نسبتها إلى المجاهدين لتنفير المسلمين منهم، والتفريق بين المجاهدين والشعب المسلم الذي يناصرهم ويحتضنهم، وتشويه صورة المجاهدين في باكستان وفي العالم، وتخويف أمة الإسلام من الجهاد، وإنهاك عزائمهم بالمآسي وتيئيسهم من نتيجةِ هذا الجهاد..!

هذه مقاصدهم لا تخفى على عاقلٍ.

وكما قال الشيخ مصطفى أبو اليزيد حفظه الله ووفقه : ((فليعلم جميعُ المسلمين أنه من المستحيل أن يقوم

المجاهدون بمثل هذا العمل الدنيء ، وهم الذين خرجوا للجهاد في سبيل الله للدفاع عن دين وأرض وعرض ودماء المسلمين التي يسفكها الصليبيون والمرتدون ويستبيحونها... إننا نعتقد أن مثل هذه التفجيرات هي من فعل أعداء الله الصليبيين وأوليائهم في الحكومة والاستخبارات ، وهي جزءٌ من الحرب القذرة التي يمارسونها، كيف لا وهم الذين لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة ، ولا يراعون حُرْمَةً ، ولا تساوي دماءُ المسلمين عندهم شيئاً.

والجميع يعرف اليوم ماذا تفعل بلاك ووتر والمجموعات الإجرامية التي استباحت باكستان بتأييد من هذه الحكومة الفاسدة المجرمة وأجهزتها الأمنية ، فهم يرتكبون هذه الأفعال البشعة ثم يتهمون بها المجاهدين عبر أبواقهم الإعلامية لتشويه صورة المسلمين.

وإن مما يبين لكم أن هذه التفجيرات هي من فعلهم ، هذه المؤشرات الواضحة :

أ) أن هذه السياسة تكررت في العراق وأفغانستان وهاهم الأمريكان الأنذال ينقلونها إلى باكستان، وقد صرّحوا مراراً أنهم ينقلون تجاربهم كما رأيتم.

ب) أن هذه التفجيرات الإجرامية تتزامن مع زيارات لمسؤولين أمريكان لباكستان ، وذلك حتى يصرحوا في مؤتمراتهم الصحفية أن المسؤول عن هذه الأعمال هم الإرهابيون الذين نقوم بقصف مخابئهم في منطقة القبائل كما يقولون ، ويدّعوا أن هدف أمريكا هو مساعدة الحكومة والشعب الباكستاني للقضاء عليهم.

جـ) أنه قد تمّ بالفعل – وقد نقلت الصحافة ذلك- ضبطُ أسلحةٍ ومتفجرات مع عناصر بلاك ووتر

ومع دبلوماسيين غربيين في باكستان ، وأن هذا الأمر تم بالمصادفة ، وأقفل هذا الملف بسرعة ، والحقيقة أن ما خفي كان أعظم ، وأن لديهم –أخزاهم الله- خططاً لاغتيال وقتل المناصرين والمتعاطفين مع المجاهدين من العلماء والدعاة وشرفاء أهل العلم والرأي والكُتّاب والصحفيين وغيرهم.

د) أن هذه التفجيرات تتم بسيارات مفخخة يتم ركنها في الأسواق ، وهذه طرق اشتهرت بها المخابرات في العالم أجمع، وكم قد فعلوها في العراق وغيرها.

إلى قوله حفظه الله : إخواني المسلمين ، إن الذي يقف وراء مثل هذه الجرائم هو نفسه الذي يقصف قرى ومساكن ومساجد المسلمين في مناطق القبائل وفي أفغانستان بالقنابل التي تزن الأطنان)). اهـ من كلمةٍ

للشيخ مصطفى نشرتها مؤسسة السحاب الإعلامية.

وأزيدُ : أن الذي يقف وراءَ مثل هذه الجرائم هو وأولياؤه الذين هدموا المسجد الأحمر على الطلبة والطالبات الأطهار المصلين التالين لكتاب الله، وهو الذي قصف المدنيين القرويين الضعفاء وأباد قراهم في سوات وفي وزيرستان، وهو الذي قتل حوالي مائتين من الفقراء الأبرياء تجمّعوا حول صهريج وقودٍ في قندوز، وقتل المئات في هيرات وغزني وغيرها.

والحاصلُ أن المجاهدين في الجماعات الجهادية المعروفة الموثوقة لا يفعلون مثل ذلك وحاشاهم، ونسأل الله أن يعصمهم ويحفظهم ويسددهم، وأن يعيذنا وإياهم من مضلات الفتن.

وإننا والمجاهدين جميعاً نعتقد أنه –لا قدر الله– لو قامت جماعةٌ بمثل هذه الأعمال الإجرامية، تعمُّداً وقصداً، فإنها لا تسمى بعدها جماعةً مجاهدةً، بل ستكون جماعةً منحرفةً ضالّةً زائغة، نسأل الله العفو العافية والسلامة، ونعوذ بالله من موجبات غضبه وسخطه.

ولهذا فإنه إن كان ثمتَ احتمالٌ أن يكون مَن قام بهذه التفجيرات قومٌ ممن ينتسبون إلى الإسلام وإلى الشريعة وإلى الجهاد، فإننا نَشهَدُ أنه إن فعلَ ذلك فاعلٌ متعمّداً قاصداً فهو منحرفٌ ضالٌّ زائغٌ مارقٌ، وأنه ليس مجاهداً بل هو مفسدٌ مجرم، يجِب الأخذُ على يديه ومعاقبته بالعقوبة الشرعية، وإلا عمّ الجميعَ غضبُ اللهِ ونقمتُهُ وعقابه، وهذا احتمالٌ ضعيفٌ في الواقع، والحمد لله، وحاشى المجاهدين من ذلك، وإنما أشرتُ إليه لتقرير الحكم والموقف الشرعيّ، ونسألُ الله أن يعصمنا وجميع المجاهدين من مضلات الفتن، وأن يقي ساحاتِ الجهاد جميعَ تلك الضلالات.. آمين.

تنبيه : فإن قيل : هل يُحتَمَلُ أن يكون التفجير حصل بفعل بعض المجاهدين على وجه الخطأ؟

فأقول : احتمال وقوع مثل هذه الحوادث بفعل مجاهدين من أهل الاستقامة والجهاد الحق والالتزام بالشريعة، لكن على وجه الخطأ المحض، هو احتمالٌ نادرٌ جداً، مستَبعَدٌ، وقد يحدثُ شيءٌ من هذا في الحروب وفي كل عملٍ بشري، لكنه قليل الوقوع جداً، كأن تكون السيارة المفخخة المحملة بالمتفجرات كانت منطلقةً إلى الهدف فحصل أن انفجرت في خطإ بشريّ عارضٍ وأمرٍ غير مقصود، فهذا قد يقع مثلُهُ في الحروبِ، وهو من المصائب والابتلاءات كسائر المحن والكوارث والجوائح التي تصيب الناس، إما بأن تجري على أيدي البشر وبمباشرتهم أو بدون ذلك بل بمحض القدر (الجوائح السماوية)، وكلها بتقدير الله عز وجل، وله

سبحانه في كل قضائه الحكمة التامة والحجة البالغة.

ونحن بمعرفتنا بالمجاهدين ننفي هذا عنهم لمعرفتنا بديانتهم واحتياطهم والحمد لله، وأما البعيدُ الذي لم يعرفِ المجاهدين فعليه بالإنصافِ وحُسْن الظن بالمجاهدين في سبيل الله وأهلِ الشريعة والدعاةِ إلى الله، وعليه أن يعرِفَ أنهم مرمى سهامِ العدوّ الكافر الظالمِ الكاذبِ المفتري ووسائل إعلامه المجرمة، وعليه أن يتأمل الأوجهَ المتقدمة وغيرها، ويتدبّر في الربط بين هذه الحوادثِ وتكررها وبين ما هو معروفٌ مسطورٌ من سياساتِ العدوّ واستراتيجياته الهادفة إلى فصل المجاهدين عن قاعدتهم الشعبية الحاضنة، كما يصرّحون به باستمرار، وحسبنا الله ونعم الوكيل، فكيف يُعقَلُ أن يقوم المجاهدون بمثل هذه الأعمال التي تنفّر الناسَ وتصدّهم عن دعوة الإسلام وعن الجهاد وتبغّضُهم في أهله، ومعَ مَنْ؟ مع شعبهم وقبائلهم وأهلهم الذين هم محضَنُهم وبيئتُهم، فهل يصدُرُ هذا من عاقلٍ أصلاً؟! نعوذُ بالله من الخذلان، والله الموفق للصواب، ومَن يستَعِنْ بالله يُعِنْهُ {ومن يعتصمْ بالله فقد هُدِيَ إلى صراطٍ مستقيم}.

فصلٌ : وقد تبرأ المجاهدون من هذا التفجير ومن أمثاله مراراً وتكراراً ، وأصدروا البيانات في النهي عما هو أقل من ذلك، مما يُحتَمَل أن له وجهاً أحياناً، وهو النهي عن رمي الكفار والمرتدين وقيادات جيشهم وأمنهم في الأماكن العامة، كالأسواق والشوارع العامة، وفي المساجد، ونحوها، لأن ذلك يؤدي إلى قتل بعض المسلمين، ونحن وإن أخذنا بتجويز مسألة التترس في بعض صورها تبعاً لعلمائنا، والمسألة مقررة بأدلتها في مواطنها، فإن ذلك له ضوابطه وشرائطه البيّنة، والحمد لله رب العالمين.

والمجاهدون بحمد الله منضبطون بالشرع، لا يقاتلون ولا يقتلون إلا من جوّز الشرع قتاله وقتله، يسيرون على وفق الفقه والأدلة الشرعية، ويفرّقون بين الدم المباحِ والدم الحرام، بحزمٍ وعلى بصيرة، ويستعملون الورع والاحتياط، وقد بيّن المجاهدون من طالبان باكستان واتحاد شورى المجاهدين والقاعدة وغيرهم في مراتٍ عديدةٍ أنهم إنما يستهدفون في باكستان قوات الأمن وجيش الدولة المرتدة، واستخباراتها وشرطتها وكل قواتها العسكرية وشبهها القائمة على حمايتها وحراستها والتي بها –بشكل مباشر– تقومُ الدولةُ، كما يستهدفون من رجالِ الدولة السياسيين الكفرة المحاربين لله ودينه وشريعته، ويتثبّتون في كل ذلك ويحتاطون، ويتركونَ ما اشتبهَ أمرُهُ، فإن المجاهدين يدركون ما ابتُليتْ به أمةُ الإسلام من اختلاط الحابل بالنابل واختلاط مجتمعاتها صالحهم بطالحهم، وما في الناس من الشبهات والترددات، وما يستدعيه ذلك من شديد الاحتياط والتحرّز، واستعمال العذر والرأفة والتسمُّحِ، والشفقة على الناس ورحمتهم، ويفهمون

أن الخطأ في العفو خيرٌ من الخطأ في العقوبة، فضلاً عن إدراكهم أن هؤلاء الناس هم قومُهم وأهاليهم وحاضنوهم، فسبحانَ الله.!

فنسأل الله أن يوفقهم ويسدد خطاهم، وأن يمدهم بمددٍ من عنده، وأن ينصرهم على القوم الكافرين.

قال الله تعالى : {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}[الحج/ ٣٩-٤١]

وقال عز وجل : {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}[النور/ ٥٥]

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم وبارك على نبيه محمدٍ وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان

كتبه : عطية الله

ذو القعدة ١٤٣٠هـ / نوفمبر ٢٠٠٩م

ادعوا لإخوانكم المجاهدين

إخوانكم في

مركـز الفجـر للإعـلام

١٤٣١هـ ~ ٢٠١٠م